

قضايا الأدب والآداب

الترجمة والحياة الاجتماعية العربية

عائدة م. إدريس

مثل « دروب الحرية » و « المثقفون » و « الطاعون » التي قدمتها دارنا وهي في مجملها دعوة الى الالتزام بالهموم الجماعية عبر تحليل (نقدي) للهموم الفردية .

ولسنا نفهم قوله ان الترجمات الوجودية تقدم فكرا « هو في التحليل الاخير فكر علمي » . أيكون هو ضد الفكر العلمي ؟

اما تعليقه لترجمة هذا الفكر فهو مغالط للحقيقة . ان الاسباب كانت واضحة : اطلاع القارئ العربي على فلسفة كانت وما تزال حلقة من أهم حلقات الفكر الفلسفي الانساني وتطوره . ولا يمكن لأي مثقف معاصر، حتى ولو لم يتوافق معها ، أن ينكر وجودها أو تأثيرها . ولقد صادف أن تجسدت هذه الفلسفة في عبقريتين : سارتر وكامو ، مما أعطى هذه الفلسفة زخما وبعدها العالمي . . . أما الدافع الآخر والأهم فتركيزنا على قطبين هامين كان المثقفون العرب بحاجة ماسة اليهما وهم يخوضون معركة تحررهم من الاستعمار : الحرية والمسؤولية . ثم اننا ، لم تقدم هذه الفلسفة الا بعد دراسة دقيقة وواعية لما يتفق وخدمة قضايانا التحررية . ولذلك فان الناقد يشوه الحقيقة حين يدعي ان هذه الترجمات كانت غايتها ابعاد المثقف عن المساهمة في الحركة الوطنية . ولو عاد الى مسح هذه الفترة ، كما كان ينبغي له أن يفعل كناقد منصف وغير منحاز ، لتأكد له اننا اخترنا ترجمة « عارنا في الجزائر » و « الاستعمار الجديد » و « الجلادون » وهي ترجمات كانت تساهم في تأييد الثورة التي كان يخوضها الشعب الجزائري ونخوضها معه عبر صفحات « الآداب » ، وكتب الدار والنشاطات الخاصة في « اللجنة الوطنية لدعم صمود الجزائر » . لقد كان سارتر وسيمون دو بوفوار وسواهما يقفون في وجه مثقفي اليمين في فرنسا ، ليعلنوا على صفحات أهم المجلات عار فرنسا

كتب الاستاذ محمد كامل الخطيب في جريدة « السفير » (الثلاثاء ٢٣/١/٧٩) يتحدث عن الترجمة والحياة الاجتماعية العربية ، فاستعرض « موجات » الترجمة منذ عشرين عاما ، بدءا من « ترجمات الفلسفة والادب الوجودي » ، ومرورا بترجمة مؤلفات كولن ولسون ، وانتهاء بترجمة كتب روجيه غارودي وهربرت ماركوز .

ولما كانت « دار الآداب » التي لم يذكرها الكاتب بالاسم ، هي التي قامت بتقديم معظم هذه الترجمات ، ولما كان الكاتب لا يمكن أن يعني سوى دارنا التي يعرف جميع الادباء والقراء انها أصدرت هذه الترجمات ، ولما كان الكاتب يحاول في ما قدمه من آراء أن يشوه مواقف دارنا ويطمس دورها في نشر الوعي الثقافي وفي الاسهام بتعزيز الاتجاه الوطني والقومي في الفكر العربي الحديث ، فانني أود الادلاء بالملاحظات التالية ، بصفتي مديرة النشر في هذه الدار :

١ - يرى الكاتب ان الترجمات الوجودية كانت « تحتسوي وتعتبر عن فكر البورجوازية الصغيرة » و « انها تحجب عن الحركة الوطنية محتواها الاجتماعي » وذلك « بتقديم فكر هو في التحليل الاخير فكر علمي » .

واضح ان الكاتب حين يقصر غاية الفكر الوجودي على أنه تعبير عن فكر البورجوازية الصغيرة ، انما يشوه حقيقة الدوافع التي قامت عليها الفلسفة الوجودية ، وهي التي تستمد توجهها الرئيسي من فكرة « الالتزام » بحرية الانسان المشروطة بمسؤوليته .

ومن المؤسف أن ينساق الكاتب مع بعض الافكار الشائعة عن « الوجودية » التي حطّ من معناها بعض من اعتنقها من جيل التحلل الذي نشأ في فرنسا عقب هزيمتها في الحرب العالمية الثانية . ويتجلى هذا الانساق في اشارة الكاتب ، فيما بعد ، الى ان الوجودية هي التي وضعت أسس نزعة « المتاهات الفردية والذاتية » . وذلك بالطبع لا يستند على دراسة صحيحة للفكر الوجودي وانما على تشويه وتسطيح لبعض نماذجه . وقد كان أجدر به أن يعتمد عيون الادب الوجودي ، من

أن تبقى الجزائر مستعمرة . وكنا ، رفعا للمعنويات ، بحاجة الى نقل هذه الاصوات ذات البعد العالمي (1) .

وتابعت السدار ترجماتها فنقلت « عاصفة على السكر » لسارتر . وفيه يظهر الكاتب بشاعة الفكر الامبريالي في كوبا ويؤيد هذه الثورة التي كانت ما تزال فتية . وحين كنا نقدم هذا الكتاب وأمثاله ك « ثورة كوبا » لفيديل كاسترو ، « هكذا تكلم كاسترو » ، « قصة الثورة الفيتنامية » ، « تشريح جثة الاستعمار » ، « التحدي الاميركي » ، « قصة الثورة الروسية » ، « التسيير الذاتي » ، « حرب العصابات » لتشي غيفارا ، « حرب المقاومة الشعبية » لجياب ، وعشرات الكتب غيرها ، انما كنا نقدمها نماذج يمكن للثورة العربية أن تفيد منها . وكنا ، عبر دراساتنا النقدية لها ، نضعها على محك النقد الصريح . فكيف نكون اذن قد خدمنا الفكر البورجوازي وأبعدنا القاريء عن « محتوى الحركة الوطنية » ؟

٢ - ينتقل الكاتب الى ترجمات كولن ولسن فيزعم ان الغاية منها « طرح مشكلة زائفة » هي مشكلة الفرد المثقف ، أي البورجوازي الصغير المتعلم بدل المشكلة الحقيقية ، أي مشكلة التخلف .

الواقع ان في هذا الطرح بالذات مغالطة واضحة . فان طرح مشكلة الفرد المثقف لا يتناقض بالضرورة مع عدم طرح مشكلة التخلف ، بل قد يتم تحليل هذه المشكلة الاخيرة عبر تحليل تلك الاولى . هذا اذا سلمنا فرضا بان مؤلفات كولن ولسن قاصرة على طرح مشكلة الفرد المثقف بمعزل عن المجتمع . اما لماذا ترجمة « كل » ولسن فللسبب الذي ذكره المؤلف نفسه حين قال : « لقد ارتبطت كتبي في سلسلة متشابكة حتى انه يصعب استيعاب واحد منها دون البقية . اذ انها تتناول موضوعا واحدا من زوايا مختلفة حتى تصل الى الفكرة التي استقطبتها الكتب السابقة نفسها . ولقد صعقت ... حين حملوني فكرة «اللائتماء» . » . والمعروف ان « اللانتمني » تلتته كتب عديدة أهمها « ما بعد اللانتمني » . والحق ان هذه الكتب هي دراسات موضوعية لنماذج من كبار الكتاب الاوروبيين، تتيح للكاتب العربي اطلاعا موسوعيا عريضا ، وهي تمثل الصراع النفسي والعقائدي الذي مرّ فيه هؤلاء العباقرة ليجدوا « معنى » لحياتهم وخلصا لها وحلولا لازماتها . وليس صحيحا على الاطلاق انها « مشكلات زائفة » لمجرد انها « ذاتية » . صحيح ان الكاتب يؤكد

(١) هذا في الوقت الذي كان فيه الحزب الشيوعي والحزب الاشتراكي في فرنسا لا يؤيدان نضال الجزائر التأييد المطلوب منهما كحزبين يناهضان الامبريالية والاستعمار !

على « الذاتية » وعلى قدرة الفرد في تغيير مسار الحياة والتاريخ ، ولكنه لا يلغي على الاطلاق دور المجتمع وتأثيره على الفرد . والواقع ان هذا الكاتب من أكثر المؤلفين المعاصرين نقدا للمجتمع وتحليلا لمساوئه ، فضلا عن انه تقدمي النزعة منحاز للانسان المضطهد . ولو درسنا كتابه « اللانتمني » دراسة موضوعية ، لتأكد لنا انه حين يقدم نماذج اللانتمنين انما لكي يدين اللانتماء ، لا لكي يبشر به . . اما تأكيده على الذاتية ، فليس عيبا يلصق به . ان ذاتية الفرد يمكن ان تكون حقيقة مطلقة ، كما يمكن للمجتمع أن يكون هو ايضا حقيقة مطلقة . واطلعنا غير المتعصب يمكن ان يوصلنا الى حقيقة ثالثة هي التفاعل المجدي بين الذاتية والمجتمع . ترى ، لو لم يوجد في التاريخ شخصية كماركس أو لينين ، هل كان يمكن للماركسية أن تحظى بمثل هذه القيمة فتغير مجرى تاريخ نصف سكان الكرة الارضية ؟ والصحيح أيضا ان ماركس ولينين ما كان لهما أن تتفتح عبقريتهما لو لم يكونا نتاج حضارة القرن والمجتمع الذي حضنهما فأخذا منه وتمردا عليه .

٣ - يدين الكاتب ترجمتنا ل « ماركوز » أيضا . والواقع ان تحليله لفلسفة ماركوز مغلوطة ومشوهة . وما يهمنا هنا التأكيد على اننا لم نكن نقدم ماركوز لتبني آراءه ، بل لنطلع المثقفين العرب عليها ، لكسي لا نظل ندفن رؤوسنا كالنعامة . من أجل ذلك أصدرتبا لمحمود أمين العالم كتابا يدحض فيه فكر ماركوز وينعته بفلسفة « الطريق المسدود » . ان هذا الحوار والجدال بين وجهات النظر المختلفة (التقدمية أساسا) تتيح لنا اكتشاف النظرة الأكثر صوابا .

{ - اما ادانة الكاتب لترجمتنا غارودي فهي بيت انقصيد ! ولعله انما كتب مقاله كله ليصل الى هاتذه النقطة . باعتبار انه لا يقرّ ما يسمى « انحرافا عن الخط » . ويهمنا ان نوضح ، ما وضحناه عند تقديم هذه الترجمات بأن الذية الرئيسية « اطلاع القراء العرب على جانب من الدراع الفكري يساعد المثقفين العرب على اختيار الطريق الذي يسلكونه لتكوين مفاهيمهم ونظرياتهم الخاصة وهذا لا يعني انها تتبنى آراء المفكر الفرنسي » .

هل يمكن للفكر العالمي أن يتجاهل غارودي لمجرد أن فصله الحزب الشيوعي الفرنسي من لجنته ؟ هل تنتفي صفة « التقدمية » عنه لمجرد أن كانت له تحفظات تمس العقيدة الماركسية من حيث هي مبدأ لا تكتيك ؟ لقد اكتشف غارودي ، كما اكتشف ماركوز كما اكتشف دوبريه ، ان المفكر لا يمكن أن يوطر ، وان حريته الفكرية تدعوه لان يبحث عن الحقيقة ويعلنها أتى وجدها ، حتى ولو تعارضت مع مفهوم حزبه . ولغارودي الحق في

ان يعلن عن اجتهاده الذي بناه بعد سنوات من المعاناة والنضال والتفكير والعودة الى « الفلسفة الام » ، ومن حقنا ان نستمتع اليه ، كما استمعنا اليه في كتابه « كارل ماركس » . ومن الممكن الاستفادة من تجربته . لقد رأى مثلا ان الدين ليس دائما افيونا للشعوب ، بل يمكن ان يغدو عامل تحرر وتحرير . وقد أعطى لذلك مثلا حرب الجزائر التحررية . ورأى ان التقدم العلمي والتكنولوجي يخضع الانسان حتى يستعبده ويفرغه من محتواه الانساني ، فحذر من هذا التقدم المريع ، لا بتعطيم المبدأ العلمي ، وانما بالتفكير بالهاوية التي يسير اليها العالم النووي والذري ..

قد يقال اننا لم نترجم الا لمن كان لهم تحفظات على هذا الفكر . والحقيقة اننا ، بموضوعية تامة ، قدمنا الجانب الايجابي . وباستطاعة الكاتب العودة الى فهارس الدار للتأكد من ذلك . ولكي أوفر عليه الجهد أذكر على سبيل المثال « المرأة والاشتراكية » ، « النشاط الجنسي وصراع الطبقات » ، « أصول الفكر الماركسي » ، « الاسس الاخلاقية للماركسية » ، « الانسان الاشتراكي » و « صين ماو » وسواها . كما نشرنا لعدد من الكتاب العرب الماركسيين أمثال محمود أمين العالم ، وأنور عبد الملك ، ومحمود درويش ، وسميح القاسم ، وسالم جبران ، وسعدي يوسف ، وبلند الحيدري ، ويوسف الصانع ، وحننا مينا .

اتكون دار الآداب ، حين تنشر هذه الكتب ، انما تخدم البورجوازية الصغيرة وتبعد « الفكر الاشتراكي » على حد تعبيره ؟

ان الخط العام لسياسة النشر عندنا يتلخص في تقديم كل ما يخدم الانسان العربي في تحقيق ذاته وتكوين ثقافته . وليس هو بالتالي « أحادي النظرة » ، بل يرفض التقولب في فكر مؤطر محكوم بنزعة عقائدية واحدة أو حزبية ضيقة . اننا نؤمن بضرورة ان نشرع للقارئ جميع النوافذ ، يشرف منها على جميع النزعات، والاجتهادات ، بحيث تتكون له ، أولا وقبل كل شيء ، ثقافة عامة يستطيع انطلاقا منها ان يختار . اننا بالطبع لا تقدم الا ما ينمي نزعات التحرر والمسؤولية والالتزام سواء عن طريق الترجمة أم التأليف . اننا نؤمن بأن القارئ العربي يفيد من تراثه الثوري الضخم ، لذلك قدمنا له نماذج عن الثورات العربية في « ١٠ ثورات في الاسلام » و « الكواكبي المفكر الثائر » ، وسواها من الكتب القيمة ، كما قدمنا الفكر القومي الوجودي . واذا كنا نعتبر اننا نستطيع ان نفيد من الفكر الماركسي مثلا، فاننا لا نؤمن بأن الفكر الماركسي هو المصدر الوحيد الذي ينبغي ان يرجع اليه القارئ ومن دون تحليل أو نقاش .

لقد كان من واجب الكاتب على الاقل ان لا يكون « انتقائيا » ، بل كان عليه أن يذكر ان الدار التي قدمت سارتر وسيمون دو بوفوار وكولن ولسن قدمت كذلك ميشال عفلق وعبد الله عبد الدائم وخليل حاوي وسليمان العيسى وأحمد حجازي وغسان كنفانسي واسماعيل فهد اسماعيل ورجاء النقاش والياس خوري ويحيى يخلف وعبد الرحمن منيف وسعد الله ونوس . لو فعل ذلك لفتح المجال امام القارئ ليحكم موضوعيا على سياسة الدار النثرية فلا يذهب الى اتهامها بالهاء القراء عن بحث أوضاعهم « المتخلفة » ، و « تعاليمهم عن الواقع » . انني أحيله على دراسة هذه الحقبة الممتدة على فترة عشرين عاما لأعيد الى ذاكرته هذه الاسئلة : من سناهم في محاربة جميع أشكال الاستعمار الثقافي ؟ من وقف في وجه المجلات الادبية المشبوهة ؟ من حارب الحرف اللاتيني والدعوة الى تفكيك وحدة الامة العربية عن طريق استبدال الفصحى بالعامية ؟ من ساند الثورات العربية وحارب أعداءها وغنى لانتصاراتها بدءا من ثورة يوليو مرورا بثورة الجزائر والعراق والمقاومة الفلسطينية وأخيرا تدعيم الموقف الثوري للبنان عربي تقدمي ؟

٥ - يتساءل الاستاذ الكاتب في آخر مقاله : « أي موقع اجتماعي نختار ونحن نمارس الترجمة ؟ » .

ان جوابنا على هذا السؤال هو اننا نعي وعينا كاملا الموقع الاجتماعي وغير الاجتماعي الذي نختاره . وهو في مطلق الاحوال الموقع الذي يقدم للقارئ ثقافة شاملة (وليست شمولية) تسمح له بأن ينمي كل أبعاده ونزعاته القومية والاشتراكية والتقدمية والانسانية .

٦ - تتردد في مقال الكاتب نبذة تهكمية تتناول « مثقفي البورجوازية الصغيرة » ، تدفعه الى حد اتهامهم بخدمة المسكر الامبريالي . والواقع ان مثقفي البورجوازية الصغيرة في بلادنا العربية كان لبعضهم الدور المشرف في حركة التحرر الوطنية . فقد فرض الوضع الاجتماعي الذي وجدوا انفسهم فيه أن يكونوا ، دون سواهم من الطبقات الفقيرة ، قادرين على الانتقال من الامية الى التعليم . فلعبوا دور التعريف والتحرير ونشر الافكار التقدمية والثورية . ذلك ان « طبقة عاملة » بالمعنى الماركسي للكلمة لم تكن قد نشأت بعد ! ولم يكن لها التأثير على الصعيد الاجتماعي والثقافي . واذا رجعنا الى مؤسسي الاحزاب العمالية والشيوعية في بلادنا لوجدنا ان معظم منظريهم ومثقفهم كانوا من البورجوازية الصغيرة . ومن الانصاف ذكر ما عانته هذه « البورجوازية الصغيرة » التي انتقلت باغلبيتها الساحقة بفضل ثقافتها من موقع الفقر أو « الوسط » الى وضع أفضل ، يتلخص في تأمين حد أدنى من حياة باتت مطلبا طبيعيا ومؤمنا في معظم الدول الراقية .

كامل الخطيب) « عالم حنا مينه الروائي » الذي ألفه
بالاشتراك مع الاستاذ عبد الله عيد .

ولعل في هذا أفضل مؤشر على سياسة الدار
النشرية : اننا تقدم كل ما نعتبره يحمل خدمة للمثقف
العربي ، حتى ولو لم تكن نتيناه بالضرورة ..

ولكن ليسمح لنا الكاتب نفسه أن يوضح لنا كيف
يقبل نشر كتاب في دار يدين اتجاهها في الترجمة
والنشر ؟

عايدة مطرجي ادريس

انها لفكرة خطيرة تلك التي يستند اليها الكاتب ،
والتي تتلخص في احتكار الوطنية لفئة معينة دون
سواها من أبناء الشعب ، وهي نظرة مبنية على أساس
فئوي متعصب أحادي الجانب ترفض أن تفتتح بأنها
ليست ولا يمكن لها أن تكون الا جزءا من كل .

٧ - ونود أخيرا أن نعلم القارئ الكريم ان
« دار الآداب » التي يسوق اليها الكاتب كل هذه التهم
هي التي نشرت كتاب الكاتب نفسه (الاستاذ محمد

دار الآداب

تقدم

الطبعة الجديدة من مؤلفات

روجيه غارودي

★

ترجمة نزيه الحكيم

● ماركسية القرن العشرين

ترجمة ذوقان فرقوط

● منعطف الاشتراكية الكبير

ترجمة جورج طرايشي

● البديل

● مشروع الامل